

الشيخ الإمام عطية مسعودي (1900 - 1989م)

الفقيه المجتهد والمصلح الرباني

الدكتور مصطفى داودي

أستاذ محاضر بجامعة الشهيد زيان عاشور / الجلفة

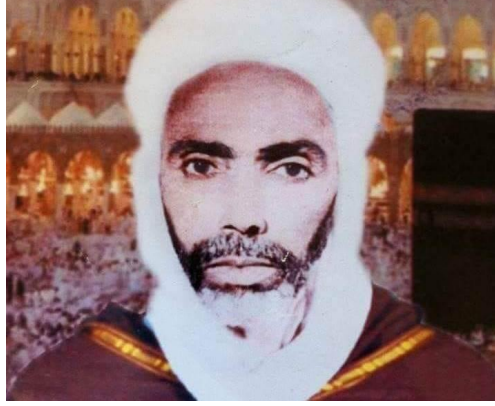
محاضرة أقيمت بمناسبة الندوة الوطنية التي نظمها المجلس الإسلامي بقاعة المحاضرات

الكبرى (الشهيد زيان عاشور الجلفة) الجلفة

مآثر علماء الأمة ودورها في تعزيز المرجعية الوطنية

علماء الجلفة نموذجا

03 شعبان 1443هـ / 06 مارس 2022م



إن الله قد يسّر لنا في كل زمان ومكان علماء ربانيين هداة مهتدين ، يذبّون عن هذا الدين والوطن ، وينافحون عنه ويدفعون عنه تأويل الجاهلين وتحريف النفاة والغالين وأهل الشك والمبطلين ، بهؤلاء العلماء حفظ الله تبارك وتعالى دينه على مدى الزمان ، فاللهم جازهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، وارفع اللهم قدرهم وأعلى شأنهم ، وانفع بعلمهم إلى يوم الدين .

هؤلاء العلماء الذين خلد الله ذكرهم على مدى الأزمان وقال فيهم تعالى : (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (المجادلة: 11).

وقوله جلا علاه: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو

الألباب) سورة الزمر، الآية 09.

وصدق فيهم قول الشاعر:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم *** على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه *** والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا *** الناس موتى وأهل العلم أحياء "

مسيرة تدارس نماذج علماء الجزائر قد شملت عديد مناطق الوطن لتحت اليوم الرحال عند أهل الجلفة ، هذه الولاية التي قدّمت للجزائر عظيم المواقف عبر مراحل تاريخها ، لا يتسع المجال ولا موضوع هذه الندوة لسردها جميعا هنا ، إلا بما يحتمه الوصف لاكتمال الفهم ، ومن ذلك أنها كانت طيلة فتراتنا التاريخية محبة للعلم وأهله وولادة للعلماء والمشايخ وقبله لهم في كلّ حين .

ولا أدلّ على ذلك وأبلغ من تلك الكلمات الصادقة التي وردت في مخطوط الشيخ عبد الرحمان التتيلاني سنة 1231هـ/1816م ، لما مرّ على هذه المنطقة وهو متجه نحو العاصمة ، وعدّ هذا المصدر عند المؤرخين ، بالمصدر الوحيد الذي أرّخ لحملة اكسماوث على الجزائر سنة 1816م.

والذي قال فيه عن أهل هذه المنطلقة فيما ذكرهم بعرب النوايل : "(إنهم أكثر قبائل العرب رجالا وماشية وخيلا ... ونعم العرب همّ كثر الله في عرب المسلمين من أمثالهم ، وهم أهل بيت الرحمة ، ما رأيت ولا سمعت من يعظم العلماء وحمالة القرآن مثلهم ، ولو قلت إنني رأيت فيهم من البرور والرحمة والرأفة والحنانة ما لم أراه في والدي ما كذبت ... فهم غاية في الدين والنظافة ، هم أهل وضوء وصلاة وزكاة ورحمة....).

هذا الوصف الذي ينبغي أن يؤخذ بعين الرعاية والتحليل والمقارنة لمحاولة فهم كيف كان أهل المنطقة قبل الاحتلال من ميزات ، وكيف فعل فيهم الاحتلال حتى جعلهم في مؤخرة الركب بعدما كانوا في أوائله ، فهذا الوصف جعلنا في صورة مجتمع راق في سلوكه وأخلاقه وتعلّمه ، حتى أنه كان منبها بما رأى وكأنه لما يرى مثلهم قط رغم رحلاته الطويلة ومروره على أقوام وأقوام ، والمتتبع بالقراءة لهذه الرحلة ، لا يجد إمعان في الوصف وإنبهار بالرؤية بمثل ما رآه للنوايل مثلما ذكر .

كما أن الروايات الشفوية تؤكد أن تعليم القرءان والقراءة والكتابة لم تكن استثناء ، بل أساس ومسلمة يهتم فيها باقتنائه بمثل ما يهتم باقتناء الطعام ، وأنه لا يوجد (مرحولا) إلاّ وشيخ القرآن فيه ركيزة ، وهذا ما يؤكد أن المنطقة قبل الاحتلال لم تشهد انتشارا للأمية بمثل ما حدث لها زمن الاحتلال .

وتتبع حقيقة التعليم في المنطقة يوقفنا على ما هو أبعد من (شيخ المرحول) ، إلى تأسيس عديد من الزوايا قبل وصول الاحتلال إلى المنطقة ، كانت قبلة للتعليم ، هذا دون التحدث على رحلات العلم الدائمة لأبناء المنطقة إلى مراكز العلم البعيدة ، وتجمع الروايات على أن الزوايا الراحلة كانت هي الأصل في المنطقة إذ اغلب سكان ولاية الجلفة قديما كانوا رحلا ، فكل قبيلة إلا ولها طالب و خيمة زاوية يعلم فيها القران - وهذه الزوايا المتنقلة ترافق المرحول أينما حل ورحل ، ويكون القران فيها يقرأ أثناء الليل و أطراف النهار .

لذلك فإن هذه المنطقة ولادة للعلماء والمشايخ ، وحينما نقول العلماء نحن لا نتكلم عن من تعلم وبدأ يؤدي للناس ما تعلمه ، وإنما قلنا علماء لأن ميزة العالم هو الإبداع وتقديم الجديد في كل حين ويحسن التعامل مع كل الظروف والمستجدات ، ولو بدأنا ذكر عداد هؤلاء لما اتسع المقام والزمان لذكرهم كلهم ، وإن شتم فقرؤوا البصائر أيام الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي وتمعنوا في كتابات مشايخ منطقة الجلفة ستجدون فيها من الإبداع ما فيها ، ولكن هم كثر وفيهم من درس في الزيتونة ومسجد القرويين بفاس ومعهد عبد الحميد بن باديس ومنهم من ارتحل وتعلم في مصر وبلاد الشام والحجاز والعراق وغيرها من المناطق ، ولا أريد أن أذكر واحدا وأنسى آخر فهم كثر ، لا بد لنا من ترسيخ سيرهم ومناقبهم في أجيالنا لأجل تكوين مجتمع راق بالعلم والأخلاق وخدمة الأوطان .

كما كان لهم تواصل دائم مع العلماء داخل وخارج الوطن ، ولكم أن تعودوا لمراسلات مشايخها مع عديد العلماء في الوطن وخارجه ستجدون ذلك التميز العلمي الكبير ، وكان من جملة هؤلاء المشايخ والعلماء (مالك هذه البلدة) ، إنه الشيخ الإمام (سي عطية مسعودي) عليه رحمة الله ، الذي إن غابت عنك سيرته فتجد نفسك مجبرا على الغوص في هذه الشخصية الريانية العلمية المتميزة ، بمجرد ما تسمع شهادات الناس والعلماء والمشايخ من داخل وخارج هذا الوطن عنه ، ومن ذلك :

- أن الشيخ عبد الحميد بن باديس لما يزور أي منطقة يبتدئ بمسجدها قبل كل شيء ليلفت إلى مدى أهمية المساجد بالنسبة للأمة ، و كانت دروسه كلها فيها حث على الفضائل و تنفيرا من الرذائل و بياننا لحقائق الدين...الخ ، وحين كانت زيارته لمدينة الجلفة بداية الثلاثينيات ، وجد في استقباله الشيخ عطية مسعودي ، فاستأذنه الشيخ عبد الحميد أن يقترح عليه عنوان لكلمته هذه الليلة ، فقال له الشيخ عطية أنا لا أجد أبلغ من درس (واعتصموا بحبل الله جميعا) ، فقال له سبحان الله لقد صادق هواك هواي ، بارك الله فيك وحفظك يا شيخ.

- الشيخ محمد بلكبير ، الذي قال في حقه لما علم بوفاته، وبعين دامعة: " لقد مات شيخ العلم والتقى والورع وخاتمة الصوفية ".

- الشيخ مبارك الملي ، عندما كان يقيم بالأغواط ، وينشط في الإطار العلمي والإصلاحي كانت له مراسلات مع الشيخ وعمره لا يتجاوز واحد وثلاثين سنة حيث كان يلقيه بالأديب الفاضل ، لما لاحظته عليه من براعة في اللغة، خصوصا عندما تحاكما إليه لغويا كل من الشيخ عطية مسعودي والرحالة أبو زيان من بلدة (فرندة) بالنظر لما جرى بينهما من حوارات لغوية عميقة .

- قال في حقه الشيخ محمد متولي الشعراوي عليه رحمة الله ، ليتني كنت فيه جذعا بالنظر لما سمعه عن الشيخ من اتساع علم وبداهة عقل في الفتوى .

- الشيخ محمد العاصمي (ت 1951م) مفتي الحنفية ، ورئيس الجمعية الودادية للديانة الإسلامية ، والذي كان يصفه بفضيلة الإمام الأتقى وكانت بينهما مراسلات .

- استشهد بمسائله الشيخ محمد الغزالي عليه رحمة الله ، في محاضراته بالجامعة الإسلامية (الأمير عبد القادر بقسنطينة).

- الشيخ الفقيه الباكستاني ميان، الذي زاره مع وفد من المشايخ سنة 1966 ، وأثناء هذه الزيارة جرت لهم مع الشيخ نقاشات علمية وفقهية، جعلتهم يعجبون بعلم الشيخ وفقهه ، وعندما رجع إلى بلده باكستان راسله للمشاركة في مؤتمر للعلماء في باكستان.

- الشيخ عاشور الخنقي، وهو الذي تعلم في تونس لمدة عشر سنوات وقام بالتدريس في قسنطينة وزاوية الهامل، حيث استشهد بالشيخ سي عطية في كتاب المنار الذي ألفه وذكر فتاوى الشيخ.
 - استشهد بفتاواه الشيخ عبد الرحمن الديسي .
 - الشيخ الطاهر بالعبيدي الذي مكث عند الشيخ (عطية مسعودي) لسنوات، حينما كان يأتي للمصيف في مدينة الجلفة ، كما كان بينهما رسائل فقهية منها ما هو في الشعر العمودي والذي كان غاية في الجمال والبلاغة.
 - أعجب به الشيخ الإمام أحمد الأردني ، وقد كان خطيبا بمسجد الفتح بمدينة (بريمن) الألمانية ، وقد أبلغ ذلك أحد طلاب مدينة الأغواط الذي كان يدرس في ألمانيا ، وقد سأله إن كان يسمع بالشيخ عطية مسعودي وهو مفتي بمدينة في الجزائر تدعى الجلفة فأجابه بنعم ، وأن هذه المدينة لا تبعد عن مديني الأغواط سوى 100 كلم ، فأننى أمامه عن الشيخ ومواقفه الصارمة خصوصا في مسائل الربا وتحديد النسل.
 - الشيخ الإمام إبراهيم القهيري وهو من مشايخ الأغواط الفضلاء، والذي كانت بينه وبين الشيخ عطية مسعودي ، مراسلات في الاستفتاء الفقهي .
 - الإمام عبد الغني تاوتي من مدينة الأغواط ، والذي كانت بينه وبين الشيخ أيضا مراسلات في الاستفتاء الفقهي.
- بالله عليكم كل هذه الشهادات ، ألا تجعل الواحد منا يتشوق فعلا للغوص في شخصية هذا العالم الجليل ومعرفة عمق تميزه في العلم والفقہ والإصلاح المجتمعي .
- لذلك في هذا المجلس الطيب سأحاول أن أتطرق إلى شخصية شيخنا الإمام والعالم الرياني (عطية مسعودي) من خلال ستة جوانب مهمة:
- سيرته ، والذب عن هذا الدين ومبادئه، ودفاعه عن هذا الوطن والتضحية لأجله ، وكذا تميزه الفقهي من حيث الإقناع في الفتوى ، لنختم مداخلتنا هذه بدوره الدعوي ونشاطه الاجتماعي في العمل الخيري والصلح بين الناس ، مع لطائف من الشيخ .

1- سيرته :

أنا لا أريد أن أسرد سيرته مثلما اعتدنا في دراسات سير المشايخ والعلماء ، لأن الكثير من كتب وحاضر فيها وهي معلومة ومتاحة ، ولكن الذي أريد أن ألفت إليه عناية الجميع ، خصوصا ضيوفنا الكرام هو ميزة مساره العلمي الشاق الذي اكتسى طابع التحدي والتجرد للعلم ، فمنذ أن ولد سنة 1900 وإلى أن بلغ سن الرشد وهو يعيش في وسط القران سماعا وتعلما حتى حفظه وهو لم يتجاوز التسع سنوات ، فالقران إذن سرى في دم الشيخ ونقش في عظامه واحتواه لحمه ، وبعد هذا السن انتقل إلى زاوية الشيخ سي عبد القادر الزينيني ، والتي منها صفت له الرؤية وفهم الحياة ومعالم العلم والخير وأهله وكانت لها علاقة عجيبة مع شيخه الشيخ سي عبد القادر حبذا لو يخصص لهذه العلاقة اهتمام خاص ، لأنها كانت فعلا نموذج في مسار الشيخ مع ابنه أثناء وبعد الدراسة وما فيها من وفاء وصدق وحب. وذكر لي ابنه الشيخ يحيى ، بأنه بالإضافة إلى حفظ القرآن ، كان في فراغه ينسخ الكتب في لوحته ويحفظها كالمتون وأمهات الكتب منها صحيح البخاري ومسلم وموطأ الإمام مالك وإحياء علوم الدين.

وانطلاقا من منتصف العقد الثاني من القرن العشرين وبعد استئذان الشيخ سي عطية عليه رحمة الله من شيخه سي عبد القادر ، انتقل الشيخ وكأنه في بعثة علمية زار فيها بلاد القبائل ومراكزها العلمية والعاصمة حيث مجالس عبد الحليم بن سماية والبليدة عند اولاد الباي وجالس فيها الشيخ بن جلول ، وخلال هذه البعثة التي كانت لسنوات جالس فيها أيضا علماء كثر وانفتحت له معرفة واقع الجزائر العلمي والفكري والإصلاحي ، وحتى واقع الجزائر الاحتلالي وما كان يجري فيها من تنصير وتضييق على الدين واللغة العربية والتدريس عموما .

ثم عاد إلى الجلفة ، وفيها تذكر الروايات أنه درّس في الجلالية وبحبح ، واستدعي للإمامة في مسجد بدار الشيوخ ، ولما حاوره الشيخ محمد بن عبد الرحمان النعاس تعجب لغزارة علمه وفقهه فقال له:

”يا ولدي كنتُ عازما أن اعرض عليك وظيفة الإمامة بمسجدنا وإلقاء الدروس للطلبة بزوايتنا لكن بعدما أجريت هذا الحوار معك تبين لي أن مستواك لا يواكب قريتنا الصغيرة لأن العالم إذا سكن البادية أو القرية يموت علمه وينساه الناس، فأنصحك أن تلتحق بمدينة الجلفة“.

وبعد بفترة أستدعي من أعيان هذه البلدة للتدريس في مدرسة الإخلاص التعليمية والتي فتحت أبوابها في الجلفة برعاية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

إلا أن فتح مسجد الجمعة في وسط مدينة الجلفة شكل نقلة نوعية للاستقرار الدعوي والإصلاحي لشيخنا الإمام حيث اختير له إماما ومن هذا المسجد تخرج على يديه علماء ومشايخ كثر منهم الشيخ سي عامر محفوظي عليه رحمة الله .

وكانت تتقل خطبه ودروسه على أثير الإذاعة الوطنية في كثير المناسبات ، وهكذا بقي مع القرآن والتضحية لأجله والدعوة والإصلاح حتى وافته المنية وفاضت روحه إلى بارئه يوم الأربعاء 27 سبتمبر 1989م في يوم مهيب على الجلفة والوطن عموما .

2 - ذبه و منافحته عن الإسلام ومبادئه:

مثل منافحته على الوطن كانت منافحته على الدين أكبر ومن نماذج ذلك :

- فقد حكي أنه وهو في طريقه أثناء رحلته العلمية إلى بلاد القبائل وفي احد الأسواق صادف راهبا يوزع كتب الإنجيل على الناس وهم ملتفون حوله ومنبهرون بما كان يقول لهم من أن عيسى بن مريم حي ، ومحمد بن عبد الله ميّت ، والحي أفضل من الميت وأحق بالإتباع ، فعيسى إذن أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم حسب زعمه ، فقال له الشيخ بنباهة عقل وسلامة منطق : هل والدتك حية ؟ فأجابه الراهب:أجل أيها الشاب،فقال له الشيخ على الفور: إذن فأملك أفضل من السيدة مريم -عليها السلام- مادام الحي أفضل من الميت عندك ، فلم يجد الراهب جوابا فانصرف خائبا.

- قصة الشيخ بن عشيظ المجاجي : الذي أجز في فاس القرويين ، وقد أتى إلى أولاد الباي بالبليدة ، وذكر في الحضور عن قول أن الإسلام رخص بالزنى بالكتايبات ، والدليل من كتاب الله وهو قوله تعالى : " ولا ينالون من عدوّ نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح "

سورة التوبة ، الآية: 128، فقاطعه الشيخ عطية مسعودي وقد كان طالبا شابا ، أيها الأستاذ : " إن الله حرم عموم الزنى ولم يخصص الكتابيات ، وقال جلّ شأنه " إنه كان فاحشة وساء سبيلا) ، ثم أيها الأستاذ عن أي نيل تتكلم الزاني إذا جاء زانية نالت منه المال ونالت من الولد ، لأنه إذا تخلفت من مائة رجل فينسب إلى أمه ، فالنيل في المال والولد حصلت للمسلمين أم للكتابين .

فقال ابن عشيظ من أي منطقة هذا الفتى ، فقيل له من الجلفة ، وفي الصباح ناداه وقال له رافقتي للمحطة ، وقال له : " يا ولدي والله إن كلامك البارحة هو الصواب الذي نطق به الكتاب وجاء به النبي الأواب " .

- وبعد الاستقلال جاءه ثلاثة رهبان مسيحيين وطلبوا منه أن يتحاوروا في أمور الدين فلم يعارض المرحوم بإذنه تعالى وإنما قال لهم : آما بما أنزل إلينا وما أنزل إليكم ، فقال أحدهم هل يعارض الله تعالى ما قاله بالأمس بما قاله اليوم ؟ فقال الشيخ : كلام الله صادق لا يتعارض ولا يتناقض وإنما قوله الحق المبين فقال أحد الرهبان : ولكن مادام قد بعث عيسى عليه السلام ، فلماذا يبعث بعده بغيره ؟ فرد الشيخ ببداهته المعهودة : من هو رئيس الدائرة الحالي ؟ فقالوا له اسمه فلان فقال لهم من هو رئيس الدائرة السابق فذكروا له اسمه فقال لهم : إذا أرسل لنا كل من الرئيس السابق والحالي فلأمر أيهما نستجيب ؟ فقالوا: لرئيس الدائرة الحالي، فقال هكذا تكونون قد أجبتم أنفسكم ، ففهموا مقصده واستأذنوا بالانصراف .

3 - دفاعه عن الوطن والتضحية من أجله:

خلال حياته كان يعيش الشيخ للإسلام وللجزائر ، حيث تذكر الروايات ، بأنه عند اندلاع الثورة ، عين من قبلها قاضيا على المنطقة في سياسة لمقاطعة فرنسا وقبل الشيخ ذلك بصدر رحب رغم عظم المسؤولية ومخاطرها .

ومن تلك المخاطر قصته مع الجنرال بلونيس الذي فعل فعلته في هذه الديار ضد جيش التحرير الوطني المنافع وأعدم الكثير من جنود جيش التحرير في انقلاب شهير وحزين ، راح ضحيته أبطال ومشايخ دين وزوايا وعلى رأسهم الشيخ عبد الرحمان حاشي ، فإذا به يبعث للإمام عطية مسعودي ذات يوم أحد ضباطه مصحوبا بأحد الجنود وهما مسلحان ، فاقتحما مقصورة الجامع التي كان يدرّس فيها حتى يشيع الخوف والذعر فيمن وجدهم حوله يستمعون إلى دروسه و قال بلهجته المتعجرفة، من هو الإمام عطية ؟ فقال له أحدهم هذا

هو الشيخ الذي أمامك ، وأشار إلى الشيخ سي عطية الذي كان يتوسط المجلس فقال له على الفور إن الجنرال محمد بلونيس يأمرك أن تلقي خطبة هذه الجمعة فتشيد به وبحاسيته وتشتت بالمقابل جبهة التحرير وجيش التحرير وإلا سنفعل الواجب وهو يلوح بسلاحه فقال له الشيخ وهو مبتسم كم عمرك يا ولدي ؟ فقال له عمري ثمان وعشرون سنة ، فقال له الشيخ ببدايته المعهودة : أنت عمرك 28 سنة ولا تعرف إن كنت على خطأ أو صواب ومع ذلك تضحي بنفسك : فكيف لا أضحي بنفسي وعمري يقارب الستين سنة وأعلم علم اليقين أنني على صواب ، الدين مثل الكف والأحزاب مثل الأصابع ، فالأصبع هي التي ينبغي لها أن تعود إلى اليد وليس العكس، قل للذي أرسلك سوف لن تسمع مني غير هذا، إفعل ما بدا لك ، فخرج الضابط ورفيقه في حالة هيجان وثورة وغضب .

4 - تميزه الفقهي من حيث الإقناع في الفتوى:

تدور الفتوى في جوهرها حول استنباط الحكم الشرعي من مضانه لأجل التبيان وحل النوازل التي تحلّ بالأفراد والمجتمعات تباعا ، وهو ما يظهر إعجاز الإسلام في مواكبة كل عصر.

وبالتالي الفتوى هي توقيع من الله ، والتوقيع لا بدّ له من تفويض ، وللتفويض شروط ، لذلك فإن الإسلام قد شدّد أيما تشديد على الفتوى والجرأة فيها بالنظر لما سينعكس على ذلك من آثار مباشرة على الفرد والمجتمع ، لذلك لم تفتح وتتح لكل الناس ، بل لطائفة ليتفقوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لقله تعالى: " فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم " سورة التوبة الآية(122).

لذلك اهتم الصحابة والتابعين بالفتوى عناية كبرى لدرجة أنه كان الواحد منهم يدفعها لآخر خوفا من تحمل عبأها والتقصير في حقها وفي ذلك قال عبد الله بن المبارك :حدثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: " أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله . صلى الله عليه و آله و سلم . يسأل أحدهم عن المسألة، فيردها هذا إلى هذا، و هذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول " ، وأنه لا يستفتى أحدهم في مسألة إلا ودّ أن أخاه كفاه إياه عكس ما يحدث اليوم في هذا الزمان من الجرأة على الفتوى من غير علم وأهلية لها ولا حتى أدنى ورع أو خوف رادع يكفهم عنها وفي هؤلاء قال الإمام الشافعي

رحمة الله عليه : " وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الإمساك أولى به، وأقرب من السلامة له إن شاء الله " وكان حري بهؤلاء أن يعرفوا جلاء ما يفتون به بمعرفة رؤى علماء الأمة للفتوى فهذا الإمام مالك رحمة الله عليه لما سئل عن مسألة فقال: لا أدري، فقيل له: يا إمام هي مسألة خفيفة سهلة. فغضب. وقال ليس في العلم شيء خفيف، أما سمعتم قول الله تعالى : " إِنَّا سَأَلْنَاكَ قَوْلًا نَقِيلاً " ، وهذا الشعبي والحسن وأبي حصين قالوا: " إن أحدكم ليفتي في المسألة ولو وردت على عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . لجمع لها أهل بدر".

والسؤال الذي يطرح أين يظهر تميز الشيخ عطية مسعودي في مسائل الفقه والفتوى

فيه؟

يظهر ذلك من خلال:

أولاً : امتلاكه لآليات وشروط الاستنباط الشرعي للأحكام :

أ - تصدره لمشهد الفتوى وما كان ليجراً على ذلك إلا لأنه استوفى حقا شروط ووجوب الإفتاء للناس ، والقائمة أصلا على تشرب مصادر الفقه الإسلامي وعن طريق الشيوخ لا عن طريق الكتب وبعد إجازة منهم ، وهو الذي قال: ما جرأت على الفتوى إلا انطلاقا من واجبي الشرعي أمام الله ، والذي سيسألني عنه إذا لم أؤدي حقه مصداقا لقوله تعالى: " وإذا أخذنا ميثاق الله للذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه " سورة آل عمران الآية(187)

وأوعد من كتم علما بقوله : " إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات و الهدى من بعد ما

بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللّاعنون " سورة البقرة الآية (158)

وجاء في الحديث الذي رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من سئل عن علم فكتمه وهو يعلمه أجم بلجام من نار يوم القيامة " ، فكان يعتبر رحمة الله عليه أداء الفتوى هو خوف من ذلك الوعيد و أنه كان يقول : " أجيب السائلين بما أعلمه مع شدة التحري في أن لا أخرج عن حدود المفتي الذي هو الإخبار بالحكم الشرعي من غير إلزام ، وإنني أشفق على

نفسى من أن أدخل فيما يغضب ربي ، أو يوجب عليّ لوما ، وإنني فيها مكره أخاك لا بطل "

ب - القارئ لسيرة الشيخ الإمام عطية مسعودي يجد بأنه بالإضافة إلى تميّزه بشروط الوجوب من إسلام وعقل وبلوغ وعدالة فإنه كان على قدر كبير من العلم بكتاب الله وما يتضمنه من آيات الأحكام والعلم بالناسخ والمنسوخ والمحكم والمجمل والمؤول والمفسر ، وبسنة رسوله عليه الصلاة والسلام من خلال معرفة أحاديث الأحكام منها ، خصوصا وأنه منذ حفظه للقرآن الكريم وهو صغير أنكبّ على حفظ المتون الفقهية ودراسة أصول الدين من تفسير للقرآن الكريم وعلم الحديث النبوي الشريف وسيرته عليه الصلاة والسلام ، كما كان يمتلك أدوات الاجتهاد من علة وقياس ومعرفة لمسائل إجماع العلماء والخلاف بينهم وكل ذلك شكل له مدارك للأحكام وطرائق للاستنباط .

وفي ذلك قال الشيخ عطية مسعودي:

والأصل في الشرع كتاب الله

مقدّما وسنة الأواه

إجماع أهل العلم و القياس

بها لكل مهتد نبراس

ومما يدل على تمكنه من مسائل الإجماع والخلاف عند العلماء قوله عن حكم المصافحة والمعانقة والقيام:

جرى الخلاف صاح في المعانقة	فمن مجيز والحديث عانقه
ومالك بذا الحديث لم يقل	حيث رآه لم يصاحبه عمل
أما المصافحة فهي سنة	مما ارتضاه المصطفى وسنّه
وفي القيام مع تقبيل اليد	أتى خلاف العلماء فاقتد
نص عليه صاحب الرسالة	وصاحب المدخل أيضا قاله
وبالقيام قال قد جرى العمل	زروق وهو شيخ علم وعمل
وقاله الأبى وابن ناجي	والعز من أضاء كالسراج
بل قال ذا الأخير لا يستبعد	حكم الوجوب فيه بل يعتمد
وقال بعض العلماء يندب	لأنه للإتلاف أقرب

هذا إذا لم يكن شيخا أو أبا أو عالما أو حاكما محببا

كل ذلك يبين ثقافته الواسعة بمقاصد الشرع ، وأن تلك المقاصد بالأساس هي تتمحور حولها فتاويه بكل ما يستعمل من أدوات كالقياس والاستصلاح والاستحسان ونحوها ، كما كان على علم بوسائل الفتوى حينما يعطل الأحكام بالمصالح والمفاسد ويرتكز على قاعدة رفع الحرج، والهدف من كل ذلك عدم وضع المستفتي في ضيق وحرج ، مصداقا لقوله تعالى : " ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج " إضافة إلى كل ذلك فقد كانت له ثقافة بفقهِ الواقع وهو ما جعل الفتوى عنده تتميز بملاءمتها لروح العصر وتقدير الظروف البيئية والأعراف السائدة - لأن للعرف في الفتوى مكان، فكان أهل الفتوى يسألون المستفتي من أي البلد أنت - و التثقف بعلوم العصر لأنها قوة وزيادة برهان في صحة الفتوى ومن تلك العلوم الاقتصاد و الطب و الفلك وغيرها...وكل ذلك كان داعما للشيخ في الكثير من الفتاوي التي سدرجها لاحقا.

ج - ومن ملكاته التي ساعدته في الفتوى سرعة نباهة عقله وسلامة منطقته فقد حكي أنه وهو في طريقه أثناء رحلته العلمية إلى بلاد القبائل و في احد الأسواق صادف راهبا يوزع كتب الإنجيل على الناس وهم ملتفون حوله ومنبهرون بما كان يقول لهم من أن عيسى بن مريم حي ، ومحمد بن عبد الله ميّت ، والحي أفضل من الميت و أحق بالإتباع ، فعيسى إذن أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم حسب زعمه ، فقال له الشيخ بنباهة عقل وسلامة منطق : هل والدتك حية ؟ فأجابه الراهب:أجل أيها الشاب،فقال له الشيخ على الفور: إذن فأملك أفضل من السيدة مريم -عليها السلام- مادام الحي أفضل من الميت عندك ، فلم يجد الراهب جوابا فانصرف خائبا.

د - من أعظم أدوات الفتوى التي تمرّس منها الشيخ هو تمكنه بدرجة عالية من قواعد اللغة العربية وآدابها وفنونها ، وبرع فيها حتى أصبح يعلم الحقيقة و المجاز والأمر والنهي والمجمل و المبين والخاص والعام والمطلق والمفيد والاستثناء ، ويذكر أنه لما عاد إلى الزاوية الجلالية بعد رحلته العلمية التي دامت سبع سنوات - والتي انتقل فيها إلى بلاد القبائل

والبليدة والجزائر العاصمة أين كان يحضر دروس التفسير وعلم البيان لمفتي الجزائر الشيخ عبد الحليم بن سماية - كان يتداول الدروس الفقهية و النحوية والبلاغية مع كل من الشيخين نعيم النعيمي وأبو زيان الرحالة من بلدة (فرندة) ، وقد نشأ بينه وبين هذا الأخير خلاف في المسائل النحوية مما جعلهما يتحاكمان فيها للشيخ مبارك الملي والذي كان حكمه بصواب آراء الشيخ عطية مسعودي وأجازه بتعليم اللغة العربية ولقبه بالأديب الفاضل .
وقد اشتهر في التأليف ونظم القصيد ومن منظوماته الرائعة ما سماها المزدوجة والتي نظمها سنة 1930 ويقول في بعض أبياتها :

وإلهدي أكرمنا	حمدا لمن علمنا
تكرما وجودا	وأوسع الوجودا
من خلقه اصطفاه	وخار مصطفىاه
محمد الوحيد	خير الوري الأحيد
مليحة مفيدة	وهذه عقيدة
لمن قرأها مبهجة	سميتها (المزدوجة)
يعرفه النفيس	فإنما النفيس
إلا الذي يدريه	و الدر لا يشريه
الفاضل الأريب	يا أيها الأديب
لا تستطل عناكا	انصب تصب مناكا
تصير حبرا قائدا	وحصل العقائدا
وباعد الملاهي	فجانب المناهي
واستر أخاك عيبا	واخش الإله غيبا
عن بطنك الحراما	وابعد- نلت المراما-
والسمع ياذا صنه	والفرج منك أحصنه
بذكر الله زنه	و النطق منك أحسنه
فاسأله يمح ذنبكا	وإن عصيت ربكا

واقلع ولازم الندم وارسل دموع العين دم
ومن جماليات براعته في اللغة نظمه في إعراب (لا إله إلا الله محمد رسول الله)
والتي يقول فيها:

ل كلمة الإسلام خذ إعرابا	منظما يدني لك الصوابا
فحرف لا نافية للجنس	إله إسمها فخذ يا أنسي
نصب محله على الفتح بني	وحرف الاستثناء إلا فاعتن
وأبدل الله ورفعته اشتهر	من الضمير المستكن في الخير
أو أبدلنه من محل لامع إس	مها في قول سيويه فافتبس
ولا يصح رفعه على الخبر	فما للا في المعارف من أثر
و إن تشأ فانصب على الإستثنا	لا البدلية من اسم لا أهدا
محمد مبتدأ رسول	خبره لنا وصول
وذا مضاف و المضاف إليه	اسم الجلالة اعتمد عليه
وجملة الكلمة لا محلا	لها من الإعراب نلت فضلا

ثانيا : أنواع ومنهج الفتوى عند الشيخ عطية مسعودي:

لقد عرف الشيخ رحمة الله عليه بنشاطه التعليمي و توجيهه التربوي، وتحمله لعباً إشكالات مجتمعه من إصلاح ذات البين و قيامه بمهمة الفتوى حيث أسندت له قيادة جيش التحرير بالمنطقة مسؤولة الإفتاء والقضاء بين الناس أثناء الثورة التحريرية المباركة ، واستمر في القضاء إلى غاية استقلال الجزائر في 05 جويلية 1962 ليكتفي بعده بالإمامة و الفتوى ، و قد تميّزت الفتوى عند الشيخ بثلاثة أنواع: عامة و خاصة وفتوى عبر المراسلة
أ . الفتوى العامة:

ويقصد بها ما كان يفتي به في مجالسه العلمية مع الطلبة و في حلق الدرس في المسجد مع عامة الناس و في مختلف المناسبات التي كان يلتقى فيها الشيخ مع عامة المجتمع ، حيث كان يجيب سائله عما استعصي لهم فهمه من أمور الدين وما حلّ بهم من نوازل ووقائع استدعت أخذ رأي الفقهاء وميزة هذه الفتاوى أنها تتسم بالعموم أنها تهم غالب المجتمع.

ب - الفتوى الخاصة:

ويقصد بها هنا تلك الفتاوى التي جاءت بناء على النوازل والمسائل التي تحل بأفراد المجتمع أو أسره فيأتيه أهلها فرادى للاستفسار عن الحكم الشرعي ورأي الدين فيها ، وعادة ما تكون هذه الفتاوى في بيته حيث كان مقصدا لذوي السؤال ، وميزة هذه الفتاوى أنها تتميز بالخصوصية باعتبار أنها تخص فرد أو أسرة دون عموم المجتمع.

ج - الفتوى بالمراسلة :

وهو نوع أمّته ظروف الواقع وكان يتم عادة إما بين الشيخ وطلّبه الذين درسوا عنده حيث كانوا يرسلونه من أجل أن يفتيهم في مسائل قد تستجد عندهم أو مواضيع استعصت عليهم ومن هؤلاء نجد تلميذه عيسى درماش من عين وسارة ومحمد الزاوي من المدينة ، وإما بينه وبين قرّائه من المشايخ ولذات الغرض كانت تتم بينه وبينهم مراسلات حول المسائل الفقهية ومن هؤلاء الشيخ لخضر بن خليف من (فيض البطمة) والشيخ الطاهر بلعبيدي من (تقرت) والذي كان يفضل القبض في الصلاة ودليله أن الإمام مالك أورد في الموطأ حديثاً لرسول الله عليه الصلاة و السلام جاء فيه: "أمرنا نحن الأنبياء بتأخير الصحور وتقديم الفطور ووضع اليمنى على اليسرى " لذلك جرى بينه وبين الشيخ نقاش حول هذه المسألة ومعروف أن الشيخ كان من الذين يفضّلون السدل وأنه كان يعتمد على مذهب الإمام مالك في هذه المسألة على الفعل لأن الإمام مالك كان يسدل رغم ذكره للحديث ، وأنه اعتد بفعل الفقهاء السبعة ودليل الإمام مالك هو فعل الصحابة لأن الفعل أبلغ من القول رغم عدم نكرانه للقبض لأن كلاهما ورد عن رسول الله عليه الصلاة و السلام ، ولمّا تحصل الشيخ الطاهر بلعبيدي على كتاب لأحد علماء شنقيط الذي كان مفتياً للمالكية بالمدينة بالمنورة عنوانه (القول الفصل في تأييد مذهب أهل السدل) وكتب له فيه "سأعطيك سلاحاً تحاريني به".

هـ - منهجه في الفتوى :

لقد تميزت فتاوى الشيخ عطية مسعودي بمعالجة القضايا والمشكلات التي كانت تحدث للناس ، ويحتاجون إل حكم الشرع فيها بما يتماشى مع روح العصر ، كما لم تكن فتاواه مجرد جواب عابر عن سؤال طارئ بل كانت فيها رسائل التنقيف والتوعية والتوجيه وقد عرف الشيخ بأجوبته المقنعة التي تقارع الحجة بالحجة ، والدليل بالدليل ولم يكن مجرد ناقلًا لفتوى غيره ومؤديًا لما تلقاه ، وإنما كان لبيب عارف يسهم بما ناله من علم وما اكتسبه من راحة عقل في اجتهاده في استخراج الأدلة الشرعية من أجل مقارعة نوازل العصر ، ورغم أن فتاواه كانت تراعي بالمجمل المذهب المالكي باعتباره قاعدة تكوينه الفقهي ومرتكزه في الفتوى ، إلا أن ذلك لم يحده في بعض الأحيان لأن يخرج في فتاويه عن مذهبه إذا اقتضت الضرورة والمصلحة الملحة.

وينبغي أن ندرك بأن الفتوى عند الشيخ عطية مسعودي مثلما أشرنا لم تكن مجرد أجوبة عابرة بل كانت مؤسسة على مرتكزات أساسية بني عليها الفقه برمته وهي ما تعارف عليها بأصول الفقه والتي عرفها الفقهاء بأنها تلك المصادر التي يستنبط منها الأحكام وهي القرآن و السنة و الإجماع و القياس والاستحسان و المصالح المرسله والعمل بأهل المدينة و الأخذ بأقوال الصحابة ، كل هذه المصادر كانت مدار رحي الفتوى عند الشيخ عطية مسعودي ، بمعنى أن فتاويه كانت مبنية على منهج متدرج تتحكم فيه مصادر التشريع الإسلامي درجة درجة، حيث كان أول منطلقه في الفتوى القرءان الكريم ، ومن نماذج ذلك :

01 - سئل عن المحرمات من النساء فأجاب بأن المحرم ثلاثة أقسام محرم بالنسب ومحرم بالرضاع ومحرم بالمصاهرة ، وقد ذكرت في قوله تعالى : " **ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء** " إلى قوله تعالى : " **وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم** " سورة النساء ، الآية 23.

02 - وسئل عن رجل طلق زوجته ثلاث طلاقات متفرقات فهل له إلى رد زوجته من سبيل ؟ فأجاب : إذا طلق الرجل زوجته مرة فله أن يردها ، فإذا طلقها الثانية فله أيضا أن يردها ويرجعها فإذا طلقها الثالثة فلا يحل له مراجعتها بحال من الأحوال ، والأصل في ذلك قوله تعالى : " **الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** " سورة

البقرة، الآية: 229، ثم قال : " فإن طلقها فلا تحل له من بعده حتى تنكح زوجا غيره ".
سورة البقرة، الآية: 230.

03 - وسأل ذات مرة : ما قولكم يا شيخ في تحديد النسل ؟ فقال : أنا ليس لي قول ، إنه قول هذا الكتاب وكان يحمل نسخة من القرآن الكريم، لقد قال في صريح الآية (يهب لمن يشاء إناثا ، ويهب لمن يشاء ذكورا أو يزوجهم ذكرا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما) سورة الشورى ، الآية: 49- 50، هذه مشيئة الله وغير هذا هو تحد لهذه المشيئة، فاختاروا لأنفسكم ما يحلو ...

وكان إذا لم يجد دليلا من كتاب الله بحث عنه في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ،
ومن نماذج ذلك :

01 - حينما سئل : هل تنفي المعصية الإيمان عن صاحبها حال تلبسه بها ؟ وما معنى قوله عليه الصلاة والسلام : " لا يزني الزاني وهو مؤمن ... " ، فأجاب : بقوله صلى الله عليه وسلم : " لا يزني الزاني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن " حمله شارح الحديث على أنه لنفي الكمال أي لا يزني وهو كامل الإيمان نحو لا علم إلا بما نفع أو نفي نوره ، وقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من زنى نزع الله نور الإيمان من قلبه فإن شاء رده إليه رده".

02 - وسئل عن النصب التذكارية الموضوعة عند القبور هل لها أصل في الشرع ؟ فأجاب:
لعل الأصل في ذلك هو ما فعله النبي عليه الصلاة و السلام من وضعه على قبر عثمان بن مظعون رضي الله عنه حجرا ، قائلا : أعلم به قبر أخي و أدفن إليه من مات من أهلي فبناء على ذلك أجزى وضع حجر أو خشب عند رأس الميت ، و أما وضع حجرين للذكر وثلاثة للأنثى فإنما هو للفرق بين الشخصين.

03 - وسئل عن مقطوعة الرأس بنحو عصا هل تؤكل أو هي ميتة ؟ فقال : مقطوعة الرأس بنحو عصا وقيدة ميتة لما في صحيح مسلم عن عدي بن حاتم قال : سألت رسول النبي عليه الصلاة و السلام على صيد المعراض فقال : " ما أصاب بحدته فكله ، وما أصاب بعرضه فهو وقيد " .

وكان إذا لم يجد الدليل في كتاب الله وسنة رسوله بحث عنه في مصادر الاستنباط الأخرى من أصول الفقه فكان إما يدلل بقول الصحابة ، أو إجماع العلماء .

ومن جماليات ملكات الشيخ نباهة العقل وسلامة المنطق وهو ما جعله يتميز في الكثير من الفتاوى بصياغة الحجج و الأدلة انطلاقاً من استخدام العقل وحسن توظيف وسائل العصر ونتائج علومه ومن نماذج ذلك:

1. أنه سئل عن بلوغ الصدقة للميت فقال الشيخ للسائل لو أننا أعطيناك رسالة لتضعها في البريد فهل تفعل ؟ فأجابه سأفعل ذلك ، فقال له الشيخ : أنت متأكد من أنك لن تهمله في أثناء الطريق ، فقال له بالتأكيد ؟ ، فقال له على الفور: عندما نحمل الله صدقة ليلبغها لفلان فهل نشك في أنه لا يفعل فكذاك الصدقة للأموات ، فقد جاء رجلاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم و قال له يا رسول الله أوبياً ماتا و أنا صغير فهل لي أن أبرهما ، فقال له عليه الصلاة و السلام : " زر قبرهما وتصدق عليهما تكتب باراً عند الله".

02. وفي موقف آخر لما سئل لماذا لم يقيض لنا الله خليفة مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعالى في عدله وإخلاصه وتقواه، فقال الشيخ : نحن لسنا الصحابة، ولهذا فالذي يحكمنا ليس عمر بن الخطاب .

03 . - وفي أحد الأيام جاءه أحد المهندسين الكهربائيين وقال له وهو في غاية الاستغراب كيف يمكن لملك الموت أن يقبض أرواحاً متعددة في أماكن متفرقة متباعدة في لحظة واحدة؟ فأجابه الشيخ في الحال: عندما يريد العامل في مركز توزيع الكهرباء أن يطفئ النور على عدة مناطق من المدينة وفي لحظة واحدة هل يستطيع ذلك؟ فقال المهندس : باستطاعته أن يفعل ذلك، فقال الشيخ رحمه الله ، لم تستغرب فعل المخلوق، فكيف تستغرب من الخالق تعالت قدرته، أن يأمر بقبض الأرواح في شتى أنحاء العالم ، فاقتنع الرجل بمثل هذا المثال الحي .

04- وقال له أحد المسؤولين : لماذا نرسل إليك ولا تأتينا؟ فقال له الشيخ على الفور ، لقد رأيت من هو أعظم مني ومنكم يرسل إليكم خمس مرات في اليوم ولا تأتون، فلماذا تطلبون مني الإتيان إليكم؟ أتريدني أن أكون من شرار العلماء ؟ حيث قال الحسن البصري رضي الله عنه ، شرار العلماء الواقفون عند باب الأمراء ، وخيار الأمراء الواقفون بباب العلماء.

05- وسئل عن الربا هل هو حرام ؟ فقال لسائله بغضب وانفعال، تضعون الجمر في أيديكم وتسالونني إن كان يحرق أم لا؟ إنكم تسخرون مني بطرح هذا السؤال .

06 - وفي حادثة أخرى، اعترض أحدهم في أن يكون الموتى يحسون بنا ولا نحس بهم ، فقال له الشيخ لقد أعطاكم الله مثالا من الواقع ومن صنع الإنسان ، فالتلفزيون نحن كلنا في بيوتنا نشاهد المذيع ولكنه لا يشاهد أحدا منا .

وينبغي الإشارة بأن الشيخ لم يعتلى منبر الفتوى لحب ظهور أو لطلب جاه أو ليقال أنه عالم فيشار إليه بالبنان ولكن كان منطلقه في كل ذلك هو واجبه الشرعي الذي سيسأله الله عنه إذا لم يؤدي حقه مصداقا لقوله تعالى : " إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات و الهدى من بعد ما بيّناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللّاعنون" سورة البقرة الآية (158).

وقد بين ذلك في كتابه لأحد قضاة المحكمة حينما حدّره من الإفتاء لأنه في نظره يسبب للمحكمة ارتباكا في أعمالها، فأجابه بما نصه: "الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وبعد: سلام الاحترام والتحية والتعظيم والإكرام لجناب الأستاذ قاضي المحكمة وأعوانه وفقهم الله وسدد خطاهم وأجزى على النهج القويم مسعاهم فإنكم تعلمون ما ابتلاني الله به من معرفة مسائل الدين وواجب عليا تبينها للناس بمقتضى قوله سبحانه وتعالى: "وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه" سورة آل عمران الآية (187)

وأوعد من كتم علما بقوله: "إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيّناه للناس في الكتاب، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللّاعنون" سورة البقرة الآية (158) وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من سئل عن علم فكتمه وهو يعلمه ألجم بلجام من نار"، فخوفا من هذا الوعيد كنت أجيب السائلين بما أعلمه مع شدة التحري في أن لا أخرج عن حدود المفتي الذي هو الإخبار بالحكم الشرعي من غير إلزام ، وأخيرا بلغنا أنكم مستاعون من إفتائي للناس فإن كان لضعفكم أنني متدخل في ما ليس من وظيفة المفتي مما يختص بالمحكمة فهو ضن غير مصيب ، بل كثيرا ما كنت أحيل مسائل النزاع على المحكمة بشهادة كثير ممن يستفتونني واسألوهم إن شئتم يا إخواني.

أنا أشفق على نفسي من أن أدخل فيما يغضب ربي ، أو يوجب عليّ لوما ، ولست و الحمد لله ممن لا يعرف قدره أو يتعدى طوره ، ومع ذلك فلو صدر إليّ منكم أمر بالمنع من الإفتاء لتلقيت ذلك الأمر بصدر رحب ، و أرحت نفسي لأنني كما قيل : " مكره أخاك لا بطل " والسلام .

كما ينبغي أن ندرك بأن إطلاعه الواسع وفهمه الملفت للمسائل الفقهية وتنوع مصادر معرفته بالعلوم الإسلامية مكنته من أن يتبوأ مكانة مرموقة بين أقرنائهم من المشايخ وسمحت له في النهاية بأن يعالج قضايا الناس ومشاكلهم بروح المتمرس المجتهد الذي يعرف متى تؤتى عزائم الله ومتى تؤتى رخصه ، وهو لا يفعل ذلك محاباة لصاحب سطوة أو تقربا لذوي سلطة وجاه ولكنه يفعل ذلك عملا بقول رسولنا صلى الله عليه وسلم: "إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة".

من كل ما سبق يتبين لنا بأن الشيخ الإمام عطية مسعودي كان يدرك معنى الفتوى وأنها تكليف وليست تشريف وهي عند الله عزيمة في الجزاء والعقاب لذلك كان يتحرى فيها مراقبة الله له وأمانة الخلق فيه لذلك نهج فيها منهجا وسطا فهو لم يذهب مذهب التشديد الخالص الذي يدعوا إلى تجميد كل شيء في الحياة والتفوق على ظاهر النص ، ولا مذهب التخفيف المطلق المؤدي إلى الانحلال والتميع وتفسير الحقائق حسب الهوى ومراد النفس ، فقد كان معتدلا يعتمد على الكتاب والسنة دون أن يغفل عن روح التشريع ومراعاة المصالح والمفاسد كأصل من أصول مذهب الإمام مالك والتي من بينها درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وكذا مبدأ التيسير ورفع الحرج والمشقة باعتماده على الأدلة العقلية كالقياس والمصلحة المرسلة والاستحسان وسد الذرائع مع مراعاة ظروف العصر.

6 - لطائف الشيخ عطية مسعودي:

كان للشيخ الإمام عطية مسعودي لطائف كثيرة وهي تصب في صميم الإيمان والعبادة والنباهة والفتنة ، ومن ذلك :

1 - ذكر أن أولاد الباي بالأربعاء بالبليدة ، جاءهم أستاذ متضلع في العربية والأدب ، فرأى ما للشيخ من مهابة ، فقال من أي المناطق أنت فقال له أنا من الجلفة ، فانشرح وقال: " إن الجلفة أعرفها ، فأهلها ذوو نباهة وفطنة واني أجادلك أيها الفتى وأختبرك من الملحون:

ما قولك في:

تسمى بالبا ، ونزلت من عند مولانا ، أخواتها مكتسيات ، وهي عريانة.

وكان الشيخ لم يسمع بها فأطرق رأسه برهة ، ثم تلى قول الله تعالى: " براءة من الله ورسوله " سورة براءة ، فبهت الأستاذ لجوابه وقال له بارك الله فيك واني جادلت بها خمسة وعشرين زاوية ولم يجبني عنها أحد.

2 - وفي موقف آخر عندما قال له أحدهم : أنتم متأخرون ، فأجابه : "وللآخرة خير لك من الأولى" ، " فمن كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب" ، ثم قال له نحن نؤثر الآخرة على الحياة الدنيا ولهذا فنحن في نظركم متأخرون ، وأنتم تؤثرون الدنيا على الآخرة ولهذا فأنتم في نظر أنفسكم متقدمون. وغدا عند الله سنعلم المتأخر من المتقدم.

5 - دوره الاجتماعي في الدعوة وعمل الخير والصلح بين الناس:

كان الشيخ عطية بن مصطفى مسعودي شخصية عامة، ومرجعا للناس في الفتوى في منطقة الجلفة، كثير النشاط، قوي الهمة، محبا للخير وأهله فعرف عنه من خلال روايات أهل البلدة وخارجها كثير الفضائل ومن بين تلك الميزات وهي قليلة من كثير نذكر:

- عدّ بيت الشيخ عطية مسعودي كالزاوية يعج بالزوار والضيوف والفقراء والمساكين ، كان البيت مفتوحا لإطعام عابري السبيل وطلبة العلم والفقراء والمساكين ، كما كان قبل ذلك مفتوحا للتعليم والإفتاء للناس.

- كان الشيخ إذا اشتغل عنده أحد لا يخرج عنده من يومه إلا وقد أعطاه أجرى ، فيقولون له يا شيخ دع لنا حتى نتم العمل ، فيرفض ذلك ويقول لهم أما سمعتم قول الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام: "أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه".

- عرف عنه أنه كان كثير الخرجات إلى البوادي والقرى ، للدعوة والإصلاح بين الناس ، ويذكرون أنه خلال هذه الزيارات كان يحمل معه الحلوى ويوزعها على الصبيان ، فقيل لما أنت حريص على ذلك ، فقال لقد قرأت حديثا لابن عباس - رضي الله عنهما - قال فيه : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : "الجنة باب يقال له: الفرح، لا يدخل منه إلا من فرح الصبيان".

- كان الشيخ عطوفا حتى على الحيوانات فكانت له قطة لا يطمئن حتى يشرف على تغذيتها بنفسه ، كما ذكر سائقه بأنه كان رفقة ذات يوم في إطار خرجاته الدعوية ، وفي طريق سمع الشيخ صوتا محسوسا في السيارة ، فقال له ما هذا الصوت ، فقال له : سلحفاة دهستها بالسيارة عن غير قصد ، فقال له الشيخ : عد إليها ، فوجدوها قد ماتت ، فحزن لذلك ، وقال له : خذ هذا المال أخرج دية عنها .

من كل ما سبق يتبين لنا بأن الشيخ الإمام عطية مسعودي كان شخصية علمية إصلاحية ربانية ينبهر بعلمه كل من يجالسه ويحاوره ، ويحبه كل من تعامل معه ، ويتشوق لمعرفة كل من يقرأ شهادته خيار علماء الجزائر والأمة عليه ، رجل صدق مع الله فصدق الله معه وجعل ذكره خالدا على مدى الأيام ، مما يبشر بأنه قد نال القبول عند الله فجعل له القبول في الأرض ، وجعلنا بعد عشرات السنين من وفاته لا زلنا نذكر سيرته وخصاله ونقرب تلك السيرة للأجيال الصاعدة عساها تجعله قدوة في بناء الحياة والتضحية لأجل الله والوطن.